نظرات في الجهد الصوتي لعلمائنا الأوائل

أ . م . د.موسى حسين الموسوي

جامعة بابل / كلية التربية الأساسية

المقدمة :

القراءة المتفحصة للتراث اللغوي العربي كثيرا ما تستوقف الباحث الواعي وتشدّه إليه ، وتبهره باتساع رقعته أفقيا ورأسيا ، ذلك أن العلوم اللغوية من نحو وصرف وأصوات ، وبلاغة وبيان ومعانٍ وبديع وعروض استقطبت العديد من العلماء المسلمين النابهين ، فنبغوا فيها وابتكروا في مناهجها وأساليب دراستها وتلقينها ، ولا تزال أصداء هذه الدراسات ترن في مسامع وأذهانهم حتى يوم الناس هذا ، وستظل روح هذه الدراسات تنبض بالحياة في القرون المقبلة ، إن شاء الله تعالى . غير أن مناهج هذه العلوم مرت في العصر الحديث بتغيرات ومتغيرات عدة فرضتها عوامل النمو الفكري والمنهجي المعاصر بأبحاثه ، ونظرياته ، وتطبيقاته . ولعل هذا ما دعاني للتنقير في هذا الباب اللغوي في محاولة متواضعة لتأصيل بعض النظرات في جهد أولئك اللغويين الأفذاذ ، ليبقى جهد السلف الصالح في هذه الأمة حيا نابضا بعلوم الأولين والآخرين ، ولن نعدم الإشارة إلى جهود الدراسات الصوتية الحديثة تأثيرا وتأثرا لأن المناهج تتلاقح فكريا ليظل الإبداع للمتقدم الأول حتما ومن هنا تجئ هذه الورقة البحثية وفق محاور النظرات التأصيلية التي تضمها هذه الدراسة .

مدخل : ـ لماذا الدراسات الصوتية ؟

لقد كان من أهم ما ركّز عليه علماؤنا القدامى ، الدراسات الصوتية ، لما لها من علاقة وثيقة بالنحو والصرف ، والبلاغة ، والمعجم ، والتفسير ، وسيبدأ الباحث منذ النشأة الأولى للدراسات الصوتية ، إنطلاقا من الدراسات النحوية واللغوية ، والمعجمية ثم يتدرج معها خلال العصور ، مرورا بالدراسات الصوتية ممثلة في علوم التجويد ، والقراءات القرآنية ، وحتى مشارف العصر الحديث حيث الاهتمام المتزايد بالأبحاث الصوتية العامة مما تجد له الأثر الكبير في الصوتيات العربية الحديثة إذ بدأت هذه الدراسات تستمد مناهجها من علم الأصوات العام ، من مثل تقسيمات الصوتيات العربية ، إلى علم الأصوات النطقي ، وعلم الأصوات الفيزيائي ، ... إلى غير ذلك من تقسيمات علماء الصوت المحدثين ومن الجدير بالإشارة إلى أنه على الرغم من تأثير الدراسات الصوتية العربية بالمناهج الحديثة إلا أنها لا تزال تستمد كثيرا من مصطلحاتها ومفاهيمها من القديم ، وأحيانا صبغ القديم منها بصبغة الجديد ، وهذا يدلل على قدرة استيعاب العلوم العربية للمفاهيم الحديثة والتعايش معها ، ولن ننسى ـ هنا ــ أن نشير إلى دور الخليل بن أحمد ، وسيبويه ، وابن جني وغيرهم ممن كان لهم تأثير كبير في تطور الدراسة الصوتية .

أولا : ـ علم الأصوات عند اللغويين والنحويين :

لعل أول نص لغوي نجد فيه إشارة إلى أرهاصات لمصطلحات صوتية هو ما ذُكر عن أبي الاسود الدؤلي (ت ٦٩هـ) حين سمع قارئا يقرأ : (إن الله بريٌ من المشركين ورسوله ...) , فقال : (ما كنتُ

أظنّ أن أمر الناس صار إلى هذا) إلى آخر الرواية المشهورة ، ثم قوله لكاتبه : (إذا رأيتني قد فتحتُ فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه من أعلاه ، فإن ضممتُ فمي فانقط بين يدي الحرف ، وإن كسرتُ فاجعل النقطة تحت الحرف ، فإن أتبعت شيئا من ذلك غنة ، فاجعل مكان النقطة نقطتين) [١] .

وأبو الأسود من حفاظ القرآن الكريم الأوائل ، يصف هنا حركات اللغة العربية القصار ، وهي : الفتحة والضمة والكسرة كما يستخدم مصطلحات أخرى ، مثل : الحرف بمعنيين : الصوت (أو الفونيم) والرمز الكتابي (الكرافيم) والغنة ، وهي ظاهرة صوتية مهمة في اللغة العربية ، والفم (وفي روايات أخرى : الشفتين) [٢] ، بوصفه أحد الأعضاء المشاركة في إصدار الحركات .

ويدل هذا النص على أهمية الحركات القصيرة في العربية ، إذ إنها فونيمات ، أو أصوات مميزة تؤدي اختلافاتها إلى تغيير المعنى كما هو واضح من الرواية التي سلفتْ .

ومن أبرز الأعمال الصوتية بعد عمل أبي الأسود ، هو ما قام به الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) في معجمه (العين) من ترتيب لمواد معجمه بحسب مخارج الحروف ، ويعد الخليل رائد الدراسات الصوتية ، وتأتي أهمية معجمه من عدة جوانب :

١ ـ ترتيب حروف المعجم بحسب تسلسل مخارجها من الحلق إلى الشفتين : وقد بدأ الخليل بحرف العين ، وهو من وسط الحلق مع علمه أن الهمزة والهاء من أقصى الحلق ، غير انهما بعكس العين ، قد يتغيران في النطق حذفا وإبدالا ، ولذلك استبعدا من بداية المعجم .

٢ ـ تصنيف الأصوات في مجموعات نذكر منها :

أ ـ حروف الحلق (ع ح هـ غ خ) .

ب ـ الحروف اللهوية (ق ك) .

ج ـ الحروف الشجرية (ج ش ض) .

د ـ الحروف الأسلية (ص س ز) .

هـ ـ الحروف اللثوية (ظ ذ ث) .

و ـ الحروف النطعية (ط ت د) .

ز ـ الحروف الذلقية (ر ل ن) .

ح ـ الحروف الشفوية (ف ب م) .

ط ـ الحروف الجوفية (و ي أ) .

٣ ـ أدرك الخليل أن أصوات العربية ليست كلها ذات طبيعة واحدة لذلك صنّف الأصوات إلى مجموعات بحسب صفات صوتية تميز كل مجموعة منها عن المجموعات الأخرى ، ومن هذه الصفات :

أ ـ الأصوات المجهورة ، وعددها ستة عشر .

ب ـ الأصوات المهموسة ، وعددها عشرة .

---

١ ـ طبقات النحويين واللغويين ، للزبيدي ص ٢١ .

٢ ـ المحكم في نقط المصحف ، لأبي عمرو الداني ص ٤ .

ج ـ ميز الخليل بعض الأصوات بأنها من حروف القلقلة ، وهي : القاف والجيم والطاء والدال والباء .

د ـ الأصوات المستعلية (ط ض ظ ق) .

يورد الخليل أيضا مصطلحات أخرى فسيولوجية وصوتية مع بعض التعريفات التي أخذت بأكثرها كل من جاء بعده من علماء الأصوات المسلمين . فقد أخذ عنه مباشرة تلميذه النابه أبو بشر عمرو بن عثمان المشهور بـ (سيبويه) عميد النحو العربي (ت ١٨٠ هـ) وأفاد من شيخه الخليل في تأليف (الكتاب) ويهمنا فيه (باب الإدغام) [١] ، الذي حشد فيه سيبويه معظم المعلومات الصوتية في وصف مخارج الأصوات العربية وصفاتها .

لقد تنبه العلماء العرب ، ومنهم سيبويه إلى أهمية الصوت اللغوي ، وعرفوا أن اللغة (لا يمكن أن يُفهم نحوها وصرفها فهما صحيحا إلا بعد دراسة أصواتها) [٢] .

ويؤكد مؤرخو علم اللغة صراحة أهمية الدراسات الصوتية يقول (كانتينو) : (لقد كان قدماء النحاة العرب أول علماء الأصوات في لغتهم) [٣] ، ويذهب بعضهم إلى بيان أثر الدراسات العربية في مناهج دراسة الصوت اللغوي عند الغرب [٤] .● وقد أدرك سيبويه أهمية النظام الصوتي ، و (وكان على وعي تام بأن دراسة الأصوات مقدمة لا بد منها لدراسة اللغة) [٥] . لذلك تناول الصوت المنطوق وبيّن عدده ، وحدّد مخرج كل صوت وما يصحبه من حركات أعضاء النطق ، وفي ضوء هذه الحركات يتم تحديد الصوت المنطوق [٦] .وبيّن سيبويه في دراسته للأصوات في (باب الإدغام) أن الحروف العربية الأصول يبلغ عددها تسعة وعشرون حرفا .وقد حدّد سيبويه ستة عشر مخرجا لأصوات الحروف العربية مُعتمدا في ذلك على دقة ملاحظته الخاصة ، وبيّن لكل صوت ، أو مجموعة من الأصوات مخرجا معينا ، ووصفه وصفا دقيقا ، قال : (ولحروف العربية ستة عشر مُخرجا) [٧] . ثم ألتفت سيبويه إلى تقسيم أصوات الحروف على هذه المخارج من الجهاز النطقي ، على ستة عشر مخرجا ، هي :

١. أصوات الحلق ، وهي ثلاثة مخارج ، أقصاها مخرجا : الهمزة والهاء و الألف [٨] . والذي عليه البحث الصوتي الحديث ، ان (الألف) صائت مجهور يحدث نتيجة اندفاع الهواء في مجراه المستمر خلال الحلق والفم ، من غير ان يعترضه مقطع يثنيه أن يضيق مجراه [٩] .

---

١ ـ ينظر : الكتاب .

٢ ـ اللغة بين المعيارية والوصفية ص ١٦٨ .

٣ ـ دروس في علم أصوات العربية ص ١١٨ .

٤ ـ ينظر : تاريخ علم اللغة ص ٢٠٥ .

٥ ـ اللغة العربية معناها ومبناها ص ٥٠ .

٦ ـ ينظر : اللغة بين المعيارية والوصفية ص ١١٩ .

٧ ـ الكتاب ٤ / ٤٣٣ .

١ ـ ينظر : الكتاب ٤ / ٤٣٣ .

٢ ـ ينظر : علم أللغة ، محمود السعران ص ١٦٠ .

وما يقرّه البحث الصوتي الحديث لا يختلف عن وصف سيبويه إذا ما عرفنا ان لفظ الحلق عند القدامى (أوسع مما يراد به عند المحدثين حيث تدخل فيه الحنجرة والوتران) [١].

٢. أوسط الحلق مخرج (العين والخاء) [٢] . ويتفق البحث الصوتي الحديث في أنهما حرفان حلقيان [٣] . وقد ذكر بعض المحدثين أنهما وسط الحلق [٤] .

٣. وأدناها مخرجا من الفم : الغين والخاء [٥] . فهما حرفا أدنى الحلق عنده وتابع سيبويه في هذا الوصف بعض المحدثين [٦] .

٤. (ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف) [٧] .

٥. (ومن أسفل من موضع القاف من اللسان قليلا ، وحما يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف) [٨] ، وهذا الوصف يتفق مع ما أجمع عليه المحدثون من أن (الكاف) من حروف أقصى الحنك [٩] .

٦. (ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك مخرج الجيم والشين والياء) [١٠]، وهو كذلك عند المحدثين مع اختلاف في التعبير عن (وسط الحنك) فجعله بعضهم ، الحنك الصلب أو الغار [١١] .

٧. (ومن بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد) [١٢]، وهو عند المحدثين (اسناني لثوي) [١٣] .

٨. (ومن حافة اللسان [١٤] من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فوق الضاحك والناب والرباعية والثنية مخرج اللام) [١٥] .

٩. (ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فويق الثنايا مخرج النون) [١] .

---

٣ ـ الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ، حسام النعيمي ص ٢٩٧ ، وينظر : مناهج البحث في اللغة ، د . تمام حسان ص ١٣٠ .

٤ ـ الكتاب ٤ / ٤٣٣ .

٥ ـ ينظر : دروس في علم أصوات العربية ، جان كانتينو ص ٣١ .

٦ ـ علم اللغة ، محمود السعران ص ١٩٣ .

٧ ـ الكتاب ٤ / ٤٣٣ .

٨ ـ ينظر : أصوات اللغة ، عبد الرحمن أيوب ص ٨٨ .

٩ ـ الكتاب ٤ / ٤٣٣ .

١ ـ الكتاب ٤ / ٤٣٣ .

٢ ـ ينظر : مثلا : دروس في علم أصوات العربية ، جان كانتينو ص ١٠١، وأصوات اللغة ، عبد الرحمن أيوب ص ٨٥ ، وعلم اللغة : محمود السعران ص ١٦٩ .

٣ ـ الكتاب ٤ / ٤٣٣ .

٤ ـ ينظر مثلا : علم اللغة العام ـ الأصوات ، د . كمال بشر ص ١٢١ ، ودراسة الصوت اللغوي ، د . أحمد مختار عمر ، ومناهج البحث في اللغة ،تمام حسان ص ١٢٩ و ١٣١ و ١٣٢ و ١٣٦ .

٥ ـ الكتاب ٤ / ٤٣٣ .

٦ ـ دراسة الصوت اللغوي ، د . أحمد مختار عمر ص ٢٦٩ ـ ٢٧٠ ، ومناهج البحث في اللغة ص ١٢٠ .

٧ ـ سقط هذا المخرج من طبعة هارون ٤ / ٤٣٣ .

٨ ـ الكتاب ٢ / ٤٠٥ ، ط بولاق .

وليس هناك فرق بين سيبويه والدرس الصوتي الحديث الـذي يـرى أن النـون (يـتم عـن طريـق اتصال طرف اللسان باللثة اتصالا محكما يمنع مرور الهواء وتخفيض الطبق اللين ليسمح بمـرور الهواء من تجويف الأنف) [٢] . وقد عبّر سيبويه عن (اللثة) بـ (فويق الثنايا) حيث يخرج النـون باتصال طرف اللسان بأسفل اللثة ، ولذلك يصف بعض المحدثين هذا الصوت بأنه لثوي [٣] .

١٠. (ومن مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافه إلـى الـلام مخـرج الـراء) [٤] . وقد جعل الدرس الصوتي الحديث لحروف (اللام والنون والراء) مخرجا واحـدا ، وهـو : (اللثـة من طرف اللسان) [٥] ، ويعرف (الراء) عندهم بأنه حرف لثوي تكراري ، لأن اللسان عند النطـق به (يضرب طرفه في اللثة ضربات مكررة ، وهذا معنى التكرار في صفته) [٦] .

١١. (ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مُخرج الطاء ، والـدال ، والتـاء) [٧] ، وهـي بهـذا الوصف عند المحدثين أيضا ، حيث يشترك عندهم طرف اللسان ومقدمه ، وأصول الثنايا (اللثـة) والأسنان في إخراج هذه الأصوات [٨] . ويسمى الحرف الذي يتم إنتاجه فـي هـذا المخـرج (أسـنانا لثويا) [٩] . وقد ذكروا أن (الدال) هو النظير المهجور للتاء ، وأن الطاء

يتكون كما يتكون التاء إلا انه يخالفه في الإطباق) [١٠] .

١٢. (ومما بـين طـرف اللسـان وفـُويق الثنايـا مُخـرج الـزاي ، والسـين والصـاد)[١١] ، تـُضـَم هـذه الحروف الثلاثة عند المحدثين إلى أصـوات (الطـاء والتـاء والـدال) وتـُجعَل لجميعهـا مُخرجـا واحدا ، وتـُصف بأنها اسنانية لثوية [١٢]. و(تحدث نتيجة اعتماد طرف اللسان على اللثة) [١٣] ، وهم بذلك لا يخرجون عن وصف سيبويه في تعيين مخرج هذه الحروف .

---

٩ ـ المصدر نفسه ٤ / ٤٣٣ .

١ ـ دراسة الصوت ا للغوي ص ٢٧٠ .

٢ ـ المصدر نفسه ص ٢٦٩ .

٣ ـ الكتاب ٤ / ٤٣٣ .

٤ ـ دراسة الصوت اللغوي ص ٢٦٩ .

٥ ـ مناهج البحث في اللغة ص ١٣٢ .

٦ ـ الكتاب ٤ / ٤٣٣ .

٧ ـ ينظر مثلا : الأصوات اللغوية ص ٦٢ ، ودراسة الصوت اللغوي ص ٢٦٩ ـ ٢٧٠ .

٨ ـ دراسة الصوت اللغوية ص ٢٦٩ ـ ٢٧٥ .

١ ـ الأصوات اللغوية ص ٦٢ ، وينظر : دراسة الصوت اللغوي ص ٢٧٠ ومناهج البحث في اللغة ص ١٢٣ .

٢ ـ الكتاب ٤ / ٤٣٣ .

٣ ـ ينظر : دراسة الصوت اللغوي ص ٢٦٩ .

٤ ـ علم اللغو ، محمود السعران ص ١٩١ .

١٣. (ومما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مُخرج الظاء والذال والثاء) [١] . وهذا الوصف الدقيق لمخرج هذه الحروف عند سيبويه هو عينه في الدرس الصوتي الحديث حيث يتم فيه انتاج هذه الحروف عن طريق ملامسة طرف اللسان بأطراف الثنايا العليا [٢] . ويسمى الصوت حينئذ (أسنانيا) [٣] ، و (صوت الثاء هو المقابل المهموس لصوت الذال) [٤] ، ولا فرق بين (الذال) و (الظاء) في صفة الجهر إلا أنّ (الظاء) يوصف بالتفخيم والإطباق بخلاف (الذال) الذي يوصف بالترقيق [٥] .

١٤. (ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العُليا مخرج الفاء) [٦] ، وهو بهذا الوصف عند المحدثين أيضا حيث يتم إنتاجه (بخلق صلة بين الشفة السفلى واطراف الثنايا العليا ورفع مؤخر الطبق والصاقه بالجدار الخلفي للحلق وفتح الأوتار الصوتية إلى درجة لا يكون معها جهر بل يكون معها تنفس مجهور) [٧] .

١٥. (ومما بين الشفتين مُخرج الباء ، والميم ، والواو) [٨] ، وهي كذلك عند بعض المحدثين حيث يوصف جميعا بالشفوية [٩] . غير أن بعضهم يجعل من رفع مؤخر اللسان في إتجاه منطقة الطبق اللين ، طرفا في إحداث (الواو) [١٠] مع عدم إغفال (استدارة الشفتين وامتدادهما للأمام) [١١] وبذلك فإن وصف (الواو) بالشفوي ليس خطأ ولكن الوصف الدقيق له أن يقال : (إنه من أقصى الحنك ، لأن اللسان يقترب من هذا الموضع عند النطق بالواو) [١٢] . ويبدو أن علماء العربية ومنهم سيبويه (قد شغلهم وضع الشفتين في النطق بالواو عن تحسس موضع اللسان من الحنك الأعلى) [١٣] ولعل وضوح استدارة الضفتين مع الواو (هو الذي جعل القدماء ينسبون مخرج الواو إلى الشفتين) [١٤] .

---

٥ ـ الكتاب ٤ / ٤٣٣ .

٦ ـ ينظر : دراسة الصوت اللغوي ص ٢٦٩ ، ومناهج البحث في اللغة ص ١٢٦ ، ١٢٧ .

٧ ـ مناهج البحث في اللغة ص ١٢٧ .

٨ ـ دراسة الصوت اللغوي ص ٢٦٩ .

٩ ـ ينظر : مناهج البحث اللغة ص ١٢٧ .

١٠ ـ مناهج البحث في اللغة ص ١٢٥ .

١ ـ مناهج البحث في اللغة ص ١٢٥ .

٢ ـ الكتاب ٤ / ٤٣٣ .

٣ ـ ينظر : دروس في علم أصوات العربية ص ٣٠ .

٤ ـ ينظر : دراسة الصوت اللغوي ص ٢٧٢ ، ومناهج البحث في اللغة ص ١٣٥ .

٥ ـ دراسة الصوت اللغوي : هامش ص ٢٧٢ .

٦ ـ علم اللغة العام (الأصوات) ص ٨٩ .

٧ ـ أصوات العربية بين التحول والثبات ، د . حسام النعيمي ص ٢٢ .

٨ ـ الأصوات اللغوية ص ٤٣ .

١٦. (ومن الخياشيم مُخرج النون الخفيفة) [١] ويسمع صوت هذا الحرف في التشكيل الصوتي ، أي : في أثناء تعامل النون الخفيفة الساكنة مع أصوات حروف معينة يبلغ عددها عند بعضهم (خمسة عشر حرفا) [٢] .

منها : القاف ، والكاف ، والجيم ، والشين ، والضاد ، والصاد ، والزاي ، والسين ...وقد تلا سيبويه عدد كبير من العلماء الذين أخذوا عنه المعلومات الصوتية دون إضافات أحيانا ، أو مع إضافات بسيطة أحيانا اخرى ، نذكر من هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر :

ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) في كتابه (أدب الكاتب) والمبرد (ت ٢٨٥هـ) في كتابيه (الكامل) و (المقتضب) ، وابن دريد (ت ٣٢١هـ) في كتابه (الجمهرة) ، وأبا علي القالي (ت ٢٢٨هـ) صاحب معجم (البارع في اللغة) والأزهري (ت ٢٨٢هـ) صاحب معجم (تهذيب اللغة) إلى أن نصل إلى أي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ) الذي أخذ ـ صوتيا ـ الكثير عن الخليل وسيبويه إلا أنه أضاف إلى الدراسات الصوتية إضافات كثيرة في المصطلحات ، ومنهج التحليل وتقديم أفكار عامة أصلية .

ثانيا : ابن جني ودوره ف علم الأصوات والحروف :

وابن جني ، هو أول من وضع مصطلح (علم الأصوات والحروف) [٣] ، ومن أهم هذه الإضافات ما يلي :

١ ـ لفظة (جرف) تعني عنده واحدا من ثلاثة مفاهيم :

أ ـ الفونيم ، أو الوحدة الصوتية ، أو الحرف ، أو الرمز الصوتي للحرف .

ب ـ الرمز الكتابي للفونيم ، أو للصوت ، أو الحرف المكتوب .

ج ـ اسم الحرف ، مثل : ألف ، باء ، تاء ... الخ .

ويمكن أن نستشف مثل هذه المفاهيم من خلال التصريحات والإشارات لدى علمائنا القدامى ، فمثلا ، يقول ابن جني : (كل حرف سميته ففي أول حروف تسميته لفظه بعينه ،لا ترى أنك إذا قلت (جيم) فأول حروف الحرف (جيم) و إذا قلت : (دال) فأول حروف الحرف (دال) ... وكذلك إذا قلت : (ألف) فأول الحروف التي نطقت بها همزة : فهذه دلالة أخرى غريبة على كون صورة الهمزة مع التحقيق ألفا) [٤] .

٢ ـ يفرّق ابن جني بين الكلام والكتابة ، وهذا الرأي شبيه بما يقوله المحدثون وما يولونه من أهمية للكلام المنطوق ، وأنه هو الأصل ، وأن الكتابة إنما تأتي في المقام الثاني و أنها ما هي إلا محاولة لتدوين النطق الإنساني برموز كتابية .

---

٩ ـ الكتاب ٤ / ٤٣٥ .

١٠ ـ الأصوات اللغوية ، د . ابراهيم أنيس ص ٧٢ .

١ ـ ينظر : سر صناعة الإعراب ص ٩ .

٢ ـ المصدر نفسه ص ٤٢ .

فهو يقول : (وذلك أن واضع الخط أجراه في هذا على اللفظ لأنه أصل للخط ، والخط فرع على اللفظ) [١] .

٣ ـ لعل ابن جني أول لغوي يعطينا تعريفا للصوت ، وهو جزء من اهتمامه بجانب الكلام المنطوق وأولويته في التحليل اللغوي ، فهو يقول :

(أعلم أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنية عن امتداد ،واستطالته ، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا ...) [٢] .

(وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها ، و إذا تفطنت لذلك وجدته على ما ذكرته لك ، ألا ترى أنك تبتدئ الصوت من أقصى حلقك ، لم تبلغ به أي المقاطع شئت ، فتجد له جرسا ما ، فإن انتقلت منه راجعا عنه ، أو متجاوزا له ، ثم قطعت ، أحسست عند ذلك صدى غير الصدى الأول ، وذلك نحو الكاف ، فإنك إذا قطعت بها سمعت هنا صدى ما ، فإن رجعت إلى القاف ، سمعت غيره ، وغن جزت إلى الجيم سمعت غير ذنيك الأولين) [٣] .

٤ ـ يعد ابن جني أول من فصّل القول في الحديث عن الحركات أو (الصوائت) القصيرة ، وحروف المد (الصوائت الطويلة) فقد وصفها وصفا دقيقا إلى حد كبير ، وقارن فيما بينها ، وذكر أنواعا متعددة من الصوائت القصيرة والطويلة ، يقول : (اعلم ان الحركات أبعاض حروف المد واللين ، وهي الألف والياء والواو ، فكما أن هذه الحروف ثلاثة ، فكذلك الحركات ثلاث ، وهي الفتحة ، والكسرة ، والضمة ، فالفتحةُ بعض الألف ، والكسرة بعض الياء ، والضمة بعض الواو وقد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة ، الألف الصغيرة ، والكسرة ، الياء الصغيرة ، والضمة ، الواو الصغيرة ، وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة) [٤] .

ويستمر ابن جني موضحا : (ويدلك على أن الحركات أبعاض لهذه الحروف أنك متى اشبعت واحدة منهن حدث بعدها الحرف الذي هي بعضه ، وذلك نحو فتحة عين (عَمَر) فإنك ، إذا اشبعتها ، حدث بعدها ألف ، فقلت : عامر ...) [٥].ويشير ابن جني إلى بعض الحركات الفرعية كما في قوله : (تجد الفتحة مشوبة بشيء من الكسرة ، أو الفتحة منحوّا إليهما ، وتجد الكسرة مشوبة بشيء من الضمة ، والضمة مشوبة بطرف من الكسرة ، ولا تجد الكسرة ولا الفتحة مشوبة بشيء من الفتحة .أما الفتحة المشوبة بالكسرة ، فالفتحة التي قبلها الإمالة نحو فتحة عين (عابد ، وعارف) وذلك أن الإمالة إنما هي إن تنحو بالفتحة نحو الكسرة فتميل الألف التي بعدها نحو الياء الضرب من تجانس الصوت ، فكما أن الحركة ليست فتحة محضة فكذلك الألف التي بعدها ليست ألفا محصنة) [٦] .

---

٣ ـ المصدر نفسه ص ٤٤ .

١ ـ سر صناعة الإعراب ص ٦ .

٢ ـ المصدر نفسه ص ٧ .

٣ ـ المصدر نفسه ص ١٧ ـ ١٨ .

٤ ـ المصدر نفسه ص ١٨ .

١ ـ سر صناعة الإعراب ص ٥٢ .

٥ ـ يضع ابن جني قاعدة ثابتة لطريقة نقل الصوت من مخرجه المتعارف عليه ، بقوله : (وسبيلك إذا أردت اعتبار صدى الحرف أن تأتي به ساكنا لا متحركا ، لأن الحركة تقلق الحرف عن موضعه ومستقره وتجتذبه إلى جهة الحرف الذي هي بعضه ، ثم تدخل عليه همزة الوصل مكسورة من قبله ، لأن الساكن لا يمكن الابتداء به ، فتقول : إك ، إق ، إج ، وكذلك سائر الحروف) [١] .

٦ ـ وفي معرض حديث ابن جني عن الصوائت الطويلة وطريقة نطقها وهو غالبا ما يستخدم مسمّى (الحلق والفم) ، أو (الحلق والفم والشفتين) ليعني جهاز النطق ، وفي هذا الصدد يقول :

(والحروف التي اتسعت مخارجها ثلاثة : الألف ، ثم الياء ، ثم الواو ، وأوسعها وألينها الألف ، إلا ان الصوت الذي يجري في الألف مخالف للصوت الذي يجري في الياء والواو ، والصوت الذي يجري في الياء مخالف للصوت الذي يجري في الألف والواو ، والعلة في ذلك أنك تجد الفم والحلق في ثلاث الأحوال مختلف الأشكال ، أما الألف ، فتجد الحلق والفم معها منفتحين غير معترضين على الصوت بضغط أو حصر وأما الياء فتجد معها الأضراس سفلا وعلّوا قد اكتنفت جنبتي اللسان وضغطته ...) [٢] .

توصيات البحث

١ ـ يدعو البحث إلى التعمق في مدلولات علماء الصوت القدامى وأفكارهم وقراءة ما بين السطور في مؤلفاتهم شريطة ان تكون القراءة على أساس موسوعي ، لأن علماءنا الأوائل كانوا مثقفين ، إذا وصفنا الثقافة ، هي الأخذ من كل علم بطرف ، وهذا ما ينعكس في كتاباتهم واساليبهم وتوثيقاتهم .

٢ ـ يرى الباحث ان هناك العديد من الظواهر التي لم يدرسها العلماء الأوائل مطلقا ، أو أنها درست بشكل محدود من مثل : النبر (الضغط على المقاطع) والتنغيم (موسيقى الكلام) ، والوقوف ، والسكتات بأنواعها ، وسرعة الكلام وبطئه ، والتقطيع في النثر والكلام العادي .

٣ ـ لقد تطورت الدراسات الصوتية الحديثة تطورا كبيرا ، نظريا ومختبريا في حين بقينا نحن بعيدين عن مواكبة هذا التقدم التكنولوجي الكبير ، ثم ازدادت الفجوة اتساعا بعد ظهور الحاسوب والبرامجيات الصوتية التحليلية والتركيبية ، مما يلقي على عاتق المعنيين في حقل الصوتيات مسؤولية مضاعفة لردم هذه الهوة الخطيرة .

---

٢ ـ المصدر نفسه ص ٦ .

١ ـ سر صناعة الإعراب ص ٨ .

دمصادر البحث ومراجعه

ـ القران الكريم .
ـ أصوات العربية بين التحوّل والثبات ، الدكتور حسان سعيد النعيمي ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، طبع دار الكتاب ، جامعة الموصل ١٩٨٩م .
ـ أصوات اللغة ، الدكتور عبد الرحمن أيوب ، مطبعة دار التأليف ، ط ١ / ١٩٦٣م.
ـ الأصوات اللغوية ، الدكتور إبراهيم أنيس ، دار وهدان للطباعة والنشر ، ط ٥ / ١٩٧٩م .
ـ تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين ، تأليف (جورج مونين) ، ترجمة الدكتور بدر الدين قاسم ، مطبعة دمشق ١٩٧٢م .
ـ دراسة الصوت اللغوي،الدكتور أحمد مختار عمر،مطابع سجل العرب،ط ١/ ١٩٧٦م .
ـ دروس في علم أصوات العربية ، تأليف : (جان كانتينو) ، ترجمة صالح القرمادي ، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية ، تونس ١٩٦٦م .
ـ الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ، حسام سعيد النعيمي ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ١٩٨٠م .
ـ سر صناعة الإعراب ، ابن جني (أبو الفتح عثمان) ، تحقيق : حسن هنداوي ، دمشق ، دار القلم ج ١ / ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م .
ـ طبقات النحويين واللغويين ، الزبيدي (أبو بكر محمد بن الحسن الأندلسي) ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٤م .
ـ علم اللغة ، الدكتور محمود السعران ، دار المعارف بمصر ١٩٦٢م .
ـ علم اللغة العام (الاصوات) د. كمال محمد بشر، دار المعارف بمصر، ط ٤ / ١٩٧٥م .
ـ كتاب سيبويه ، سيبويه ، أبو بشر عمرو ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، الناشر : مكتبة الخانجي ط ٣ / ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .
ـ اللغة بين المعيارية والوصفية ، د . تمام حسان ، القاهرة ١٩٥٨م .